بدايات الرفض الفلسطيني للمشروع الصهيوني

فيصل حوراني

من الملاحظ أن المواجهة العملية بين عرب فلسطين والمطامع الصهيونية فيها، تأخرت، بعض الوقت، عن تاريخ تشكل الحركة الصهيونية وتبلور مطامعها تلك، وعن وصول أولى الدفعات من مهاجري هذه الحركة إلى فلسطين. وإذا كان هذا كله قد تم، على الجانب الصهيوني، في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإن بداية التحرك الفلسطيني ضده ابتدأت، مع نهاية الحرب العالمية الأولى، دون أن يعني هذا أنه لا يمكن الوقوع على أنشطة، متفرقة قليلة، جرت، هنا وهناك، من قبل هذا الفريق أو ذاك، قبل عام ١٩١٨.

فجيعة الحركة العربية بوعود بريطانيا

وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ولسنوات قليلة بعدها، كانت الحركة العربية القومية، التي قاتلت بزعامة الشريف حسين، جنباً إلى جنب، مع القوات البريطانية، لا تزال تتمسك بحلمها، في تحقيق وحدة واستقلال البلاد العربية الواقعة شرقي البحرين: الأحمر والأبيض المتوسط. وكانت الحركة العربية تعتمد، في هذا، على ثمرة كفاحها ضد الامبراطورية العثمانية، وعلى تعاونها مع بريطانيا، وعلى نتائج الدور الذي لعبته، في خدمة قضية الحلفاء، ضد دول المحور، وعلى ثقتها بمتانة الوعود التي حصلت عليها من بريطانيا. وكان من شأن هذا كله أن يشغلها عن الاعدادات التي تقوم بها الحركة الصهيونية، خصوصاً أن تلك الإعدادات كانت تجري في أماكن بعيدة؛ كما يشغلها أيضاً، عن المخاطر المرتقبة للهجرة اليهودية التي ظلت، حتى نهاية الحرب، قليلة.

غير أن كثيراً من خيبات الأمل، كان ينتظر زعامة الحركة العربية القومية، منذ أخذ يتكشف أمامها الفارق الكبير، بين الوعود التي تعهدت بها بريطانيا، وبين الترتيبات الفعلية التي تقوم، برغم هذه الوعود، باعدادها لدفع مصائر البلاد العربية، باتجاه لا يتسق مع طموحات العرب القوميين إلى الاستقلال والوحدة؛ ومن ثم التحالف مع الدول